المحاضرة الثامنة: الحضارة الإيرانية القديمة (حضارة فارس وعيلام).

أولا وقبل أن نبدأ المحاضرة يجب أن ندرك أن الفرس: هم مجرد جزء من حضارة إيران وأن العيلاميين: هم جزء من الإيرانيين القدماء، الحضارة الإيرانية انطلقت من منطقة عيلام المتاخمة لبلاد الرافدين

أولا: الموقع الجغرافي: تقع الهضبة الإيرانية في غرب آسيا، يحدها شرقا الباكستان وأفغانستان حاليا، ومن الغرب تركيا (الأناضول) والعراق، ومن الشمال بحر قزوين وأرمينيا وأذربيجان ومن الجنوب الخليج العربي وخليج عمان.

تتكون بلاد إيران من هضبة عالية صحراوية جافة، محاطة بسلاسل جبلية من الشمال جبال أذربيجان وجبال خراسان وجبال زاغروس، هذه الجبال الكثيرة ساهمت في عدم ازدهار الحضارة في الهضبة الإيرانية إلا في مناطق معينة منها:

- موقع أناو: في المنطقة الشمالية ما بين أرال وبحر قزوين
- موقع تل باكون: جنوب غرب إيران
- موقع بلخوستان: جنوب شرق إيران

رغم الطابع الصحراوي للهضبة الإيرانية إلا أن الجبال المرتفعة المحيطة بها كانت تغذي الأودية بالمياه وهو ما سمح بممارسة الزراعة والرعي خاصة.

ثانيا: التسمية: (إيران – فارس)

استخدم مصطلح فارس وإيران وعيلام للإشارة إلى منطقة واحدة، غير أن أقدم تسمية وردت في المصادر القديمة تتمثل في كلمة "إيريانا فيجا" التي تعني موطن الآريين أو الإيرانيين وهناك من استعمل مصطلح "إيريانا" بمعنى بلاد إيران.

أما مصطلح فارس فأول من أطلقه هم الإغريق ويستمد من اسم إقليم "بيرصا "perso" "الذي يقع في الجزء الغربي من الهضبة الإيرانية، ثم أصبح هذا الاسم "برسيس " persis ثم أطلق العرب عليهم اسم فارس أي بالترجمة. إلا أن سكان المنطقة أطلقوا على بلادهم عدة تسميات منها:

"ايرانشهر" التي تعني إقليم إيران، "ايرانمين" التي تعني أرض إيران وقد ظل اسم إيران وفارس مرادفا فالسكان يطلقون على بلادهم إيران بينما المتأثرين بالإغريق يقولون فارس الى سنة 1935 أين طلبت إيران مراعاة تسميتها بإيران وليس فارس.

ثالثا: أصل السكان :

إن الهضبة الإيرانية كانت مأهولة بالسكان منذ عصور ما قبل التاريخ ولعل أصل هذا الشعب هو نفسه الذي سكن جنوب العراق في فترات زمنية مبكرة (سومر). فمنذ بداية الألف الثالثة ق.م، بدأت المصادر البابلية تذكر شيء عن الجهات المتاخمة لها على الحدود، حيث كان الشعب دائم الاحتكاك ببلاد الرافدين ويطلق عليه لقب "سكان التلال" وهم: العيلاميون، الكاشيون، اللوبيون، الجوتيون. والملاحظ أيضا أن إيران تعرضت لهجرة عناصر هندوأوروبية في بداية الألف الثانية ق.م نتيجة لضغوطات اقتصادية واجتماعية و...انتقلت من السهول الواقعة جنوب روسيا حاليا، ومنهم الحيثيين ويعتقد أن الفارسيين والميديين هم من الأقوام التي دخلت إيران، حيث تسجل المصادر البابلية وصولهم للمنطقة بداية الألف الثانية ق.م، ثم تذكر وتحالفهم مع الكلدانيين، مند القرن 8 ق. م.

ومن هذا المنطلق فالفرس والميديين هم من الجنس الآري الذين هاجروا من شرق بحر قزوين نحو الجنوب، ودخلوا في حروب طويلة مع الآشوريين في القرن 7 ق. م.، وبتحالفهم مع البابليين تمكنوا من السيطرة على نينوى، واتخذوا من أكيتانا (همذان) عاصمة لهم.

رابعا: أهم مظاهر الحياة الإيرانية :

1- **المظهر السياسي ونظام الحكم:**

بداية لوحظ نظام دولة المدينة، يحكمها "خشاتر" أو المحارب وهو ما يدل على الطبعة العسكرية للحكم ويساعده كواسطة مع الشعب "الأعيان" وأيضا الأشراف وكان لهم مجلسهم، فمنذ القرن السادس قبل الميلاد قام حاكم قبيلة وادي بارسوماش (لوريستان) بإطلاق إسم الفرس على قومه واسمه (أخامنين) كما ذكره الإغريق، وخلفه ابنه أريارمنس الذي ترك لنا أول ما كتب بالأبجدية الفارسية بالخط المسماري، إلى أن أختلط الفرس بالميديين عبر زواج قمبيز الأول بأميرة ميدية، ثم حكم بعده الملك قورش الذي تمكن من السيطرة على مملكة الميديين، ثم بابل، وعيلام، وخلفه ابنه قمبيز الثاني، ثم دارا الأول الذي اتخذ من جشميد عاصمة له وقسم إمبراطوريته إلى 20 مقاطعة وعين لها حكاما عسكريين فارسيين، ووضع ضباط من الفرس في كل مدينة مع الاستعانة بالحكام السابقين لخدمة الملك وتصريف الشؤون الإدارية، فالفرس عملوا على الاستفادة من أعدائهم فجعلوهم في خدمتهم بعد العفو عنهم بدل التخلص منهم وقتلهم، واستمر هذا الوضع في امبراطورية قوية مختلفة الأجناس إلى غاية سقوط الدولة الفارسية الإخمينية على يد الاسكندر المقدوني، ولكن هذه الحضارة سرعان ما عادت للطهور مع الساسانيين والأكاسرة الذين استمر وجودهم إلى غاية الفتح الأسلامي لبلاد فارس، وفيما يلي ذكر لأهم ملوك الدولة الأخمينية والساسانية:

ملوك **الدولة الأخمينية:** – قورش الأول: حكم من 640–600 ق. م

- قمبيز الأول: حكم من 600-599 ق. م.
- قورش العظيم: 559-529 ق. م.
- قمبيز الثاني: 529- 522 ق.م
- دار الأول (اللعين): 522-486 ق. م.
- زيركسيس الأول (زرزس): 486-466 ق.م
- ثم جاء دارا الثاني، زرزس الثاني، ثم دارا الثالث (330-326 ق. م) وسقطت الدولة في عهده أمام حملة الإسكندر المقدوني، ثم عاد **الدولة الفارسية مجددا تحت سلطة الساسانيين** (جدهم يدعى ساسان وهو الكاهن الأعظم لمعبد النار بمدينة أصطخر) ومن أهم ملوكهم نذكر:
- أردشير بن بابك: 224-241م.
- سابور الأول (شابور): 240-272م
- هرمز الأول ابن سابور: 271-272م
- بهرام الأول بن سابور: 272-275م
- بهرام الثاني: 275-293م.
- بهرام الثالث، نرسي بن بهرام، هرمز الثاني، أردشير الثاني، شابور الثالث، ...كسرى أنو شروان 531-579م.

أما **الجيش** فإن أهم فرقتين فيه فهما: الحرس الملكي وفرقة الخالدين التي يبلغ عدد أفرادها 10 آلاف فرد، ثم نجد فرقة المرتزقة التي تتشكل من مختلف القوميات التي دخلت تحت الحكم الفارسي من الكنعانيين، الميديين، المصريين،...

2- **المظهر الاقتصادي**: بالرغم من صعوبة تضاريس إيران وفقرها للموارد الطبيعية إلا إن الإنسان الإيراني القديم قد تمكن من ممارسة جل الأنشطة الاقتصادية متحديا الظروف الصعبة للهضبة الإيرانية فمارس الزراعة والرعي واستخدم المعادن وصنع الفخار ومارس التجارة.

 الزراعة: تشير الدلائل التاريخية إلى توصل الإنسان الإيراني لممارسة الزراعة منذ القدم (حوالي 6 آلاف سنة قبل الميلاد) وهو ما تشير إليه البقايا الأثرية من فؤوس ومناجل ومطاحن) فرغم قلة المياه إلا أن الإيرانيين تمكنوا من جلب المياه من الجبال إلى السهول عبر قنوات ضخمة تجلب المياه نحو السهول ولعل أهمها سهول سوليانا وسوزا، مع التأكيد على طغيان نشاط الرعي على حياة الإيرانيين القدماء بالموازاة مع الزراعة.

 استخدام المعادن: تم اكتشاف دبابيس نحاسية تعود لنهاية العصر الحجري الحديث في منطقة 'سيالك' حيث تمكن الإيرانيين من صهر المعادن وصياغة القوالب والخناجر والسكاكين والنقود.

- الفخار: ظهر تفوق ملحوظ في الفخار الإيراني وتحكم في صنعه من خلال صغر حجم القطع المصنوعة خاصة بعد اختراع عجلة الفخار (الدولاب في مصر) وألوانها الزاهية (أحمر، أخضر، رمادي) وذات أشكال هندسية أو من الطبيعة، كما صنعوا التماثيل التي تخص الجانب الديني.

- التجارة: لقد أدى تطور الزراعة والصناعة إلى زيادة النشاط التجاري الإيراني وهو ما تدل عليه الأختام الأسطوانية التي يستخدمها التجار في معاملاتهم، وازدهرت التجارة أكثر مع تطور المملكة واكتشاف الطرق البرية والبحرية فأقيمت علاقات تجارية مع بلاد الرافدين والحيثيين وحتى مصر.

تجدر الإشارة إلى أنه رغم تميز التجارة الإيرانية القديمة إلا أن الإيرانيين كانوا يحتقرون التجار ويرون الأسواق مجرد محلات للخداع والكذب.

3- **المظهر الديني:**

تميز سكان إيران بدفن موتاهم تحت أرضيات منازلهم وتغطية أجسادهم بالتراب الأحمر، وفسر العلماء هذه الظاهرة بكون الأحمر يرمز للدم، وبالتالي الحياة الآخرة وحياة ما بعد الموت حيث يتم دفن مختلف التجهيزات التي يحتاجها الميت في هذا العالم، ومع اتصال الإيرانيين بالحضارات الأخرى أصبحوا يقيمون المقابر لملوكهم ولكبارهم، وبعد اتصالهم بالمصريين أصبحوا ينحتون القبور في الجبال والصخور المرتفعة.

أما عن المعبودات: فقد عبد الإيرانيون كغيرهم مختلف مظاهر الطبيعة وتمركزت عقيدتهم على النور والظلام فعبدوا: الحيوان والأجداد، الشمس "مترا"، "الأرض"، "رام"، الريح "هيو"، كما تميزوا بعبادة النار.

حيث أكدوا على أن الخير (النور) يصدر عن آلهة الخير النور والخصب والجمال والصحة وكل الفضائل، أما الشر: فيصدر عن آلهة الشر كالفساد والظلام والجفاف والكذب وكل الرذائل وبناءا على هذا المعتقد عبد إلهين هما :

- اله الخير (أهوز مزداد)
- اله الشر (أهرمان)

ومع تطور بلاد فارس ظهر الحكيم "زرادشت" الذي جاء بتعالم دينية جديدة تحث على الفضيلة، ونبد الفساد ومظاهره، حيث اعتبر الإيرانيون زرادشت على أنه نبي وكتابه أنزله عليه اله الخير أهورامازدا، حيث تقول الأسطورة أنه ظهر له وسلمه كتابا كان يدعى "أوفستا" وأول أصول الزرادشتية إثبات وحدوية اله الخير.

للاستزادة أنظر ما يلي:

1- **حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته، بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.**
2- **محمد أو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1987.**
3- **نعيم فرح: موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي، الاقتصادي والثقافي، دار الفكر، دمشق، سوريا، د. ت.**
4- **كامل سعفان: موسوعة الأديان القديمة، معتقدات آسيوية، ط. 1، دار الندى، العراق، 1999.**
5- **علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، مصر، د. ت.**
6- **ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الأول، تر. فؤاد أندروس، علي أدهم، دار الجيل، بيروت، د.ت.**